استدراكاتُ ابنِ قيّمِ الجوزيةِ في كتابِه بدائع الفوائد على السّهيليِّ

م.م ليث شاكر محمود جراد
المديرية العامة لتربية الأنبار
E- mail : Liath_sh2001@yahoo.com

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى كشف أهم الاستدراكات التي أدركها ابن القيّم على السهيليّ في كتاب بدائع الفوائد التي ربما غفل عنها في أثناء التأليف ، بالرغم من أنَّ ابن القيّم كان لاحقاً للسهيليِّ بما يقارب القرنين إلا أنَّه استطاع أن يستدرك عليه ما فاته من فوائد ومواطن استطاع من خلالها أن يثبتَ لنفسه آراءً كانت خاصةً به ، فنراه في عدد من المواضع يفنّد بعضها وقد يرجح بعضها ، وينتقد بعضها ، ويعترض عليها ، ويستطرد في التعقيب ، ويحرر العبارات .

فأهل العلم قديماً وحديثاً يستدرك بعضهم على بعض ، فالمعرفة تراكمية المنزع ، يبدأ السابق بتأليف كتابٍ ما إلى أن يقف عند حدٍ يراه مناسباً بحسب طاقته وجهده ، ويأتي مؤلفٌ بعده فيضيف ، ويعلِّق ، ويصحح ، فقد استدرك سيبويه على الخليل ، وغيره ، والمبرد على سيبويه ، وهكذا دواليك ، وحسبنا قول الله جلَّ في علاه :ﭽﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﭼ[يوسف: ٧٦] .

Abstract

This paper aims at finding out the important recantations which Ibn Al-Qaim tried to get against Al-Suhaili in Bada'a Al-Fawa'd book which it may be forget during establishing . In spite the fact that Ibn Al-Qaim was after Al-Suhaili about two centuries, he recanted to get what he missed of benefits and positions which was able to prove for himself specific opinions . We saw him in some positions, refuted some of it, overbalanced some of it, and criticized some of it, rejected some of it, digressed in commentary and liberated the phrases . People of science lastly and recently recant each one with the other .

The accumulative knowledge place means that the previous starts to establish a book until he gets to a proper stoppage according to his energy and efforts . After that an author comes after him adds. Comments and corrects . Sibawaih was recanted on Al-Khalil and others . Al-Mubred on Sibawaih and so on . as Allah said in the Holy Quran ((Over all Endued with Knowledge is One, The All Knowing)) surah Yusuf -76 .

المقدمة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابهومن والاه ، وبعد .

جاء في الصحاح : الإدْرَاكُ بمعنى اللُحوقُ . يقال : مشيتُ حتى أدْرَكْتُهُ ، وعِشْتُ حتى أدْرَكْتُ زمانه . وأدْرَكْتُهُ بِبَصَري ، أي : رأيْتُهُ . واسْتَدْرَكْتُ ما فات وتَدَارَكْتُهُ ، بمعنىً . وتَدَارَكَ القومُ ، أي : تلاحقوا ، أي : لحق آخرهم أوَّلهم . ومنه قوله تعالى :ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ[الأعراف : 38]، وأصله : تَدَارَكُوا ، فأدغمت التاء في الدال واجْتُلِبَت الألف ؛ ليسلم السكون .[1]

وقال ابن منظور : « وَاسْتَدْرَكَ الشَّيءَ بالشَّيءِ : حاول إدْراكَهُ بِهِ »[2] ، في حين نصَّ أبو البقاء الكفوي على أنَّ الاسْتَدْرَاكَ : (هو دفع توهم يتولد من الكلام المتقدم دفعاً شبيهًا بالاستثناء)[3] .

والذي دفعني إلى اختيار هذا الموضوع الجليل هو كثرة الاستدراكات التي قرأتُها في كتاب بدائع الفوائد ، وما فيها من فوائد جمّة تنفعُالقارئَ لها ، وإبراز ما للعَالِمَينِ من آراء ونصوص تكملُ بعضها بعضاً للوصول إلى ما يقارب الصواب في المسائل ، فالموضوع جاء ليبرز أهمية كتابين هما : بدائع الفوائد لابن القيّم ونتائج الفكر للسهيليّ ، ويبيّن بعض المسائل النحوية بينهما ، والصلة الوثيقة بينهما ، ثُمَّ الإشارة إلى أهمية كلّ منهما في علوم العربية ،وأمثلة الاستدراك كثيرة لا مجال لذكرها هنا .

فالاستدراك إذاً يقوم على الزيادات والإضافات التي يدرك بها اللاحق ما فات السابق . ولذلك قمتُ في بحثي هذا بإيراد أهم الاستدراكات التي أدركها ابن القيم على السهيليّ في عدة مواضع سندرسها في الورقات الآتية إن شاء الله .

فعلى هذا كان البحث في ثلاثة عنوانات رئيسة بعد توفيق الله تعالى ، الأوّل : سيرة الإمام ابن قيم الجوزية موجزة ، والثاني : سيرة الإمام أبي القاسم السهيليّ موجزة أيضاً ، والثالث : استدراكات ابن القيّم على السهيليّ في بدائع الفوائد .

أوّلاً : ابن القيّم[4] :

اسمه ومولده :

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أَبي بكر بن أَيوب الزّرعي الدمشقي ، الشهير بابن قيم الجوزية ، ولد ابن القيّم في السابع من صفر سنة (691هـ) .

مؤلفاته :

من أَبرز مؤلفات ابن القيّم هي :

1. بدائع الفوائد .
2. اجتماع الجيوش الإسلامية في الردِّ على المعطلة والجهمية .
3. الفوائد .
4. الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية .
5. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة .
6. نونية ابن القيّم .

وفاته :

توفى ابن القيّم في الثالث عشر من رجب سنة (751هـ) ، وله من العمر ستون سنة .

ثانياً : أبو القاسم السهيليّ :

اسمه ومولده :

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيليّ ، وله عند المترجمين كُنيتان هما : أبو القاسم ، وأبو زيد ، وزاد الذهبي أيضاً أبا الحسن ، ولكن ما اشتهر به السهيليّ في كتب النحو وغيرها أبو القاسم[5] .

ولد سنة ثمانٍ وخمسمائة بمدينة مالقة ، وهي مدينة كبيرة بالأندلس ، وتلقّى علومه المتنوعة عن أجلاء علماء الأندلس في القرن السادس كابن العربي المالكي ، وسليمان بن يحيى ، وأبي منصور ابن الخير ، وشريح بن محمد ، وأبي عبد الله بن مكي ، وبرز من شيوخه في علم العربية خاصةً أبو الحسين ابن الطراوة[6] ، فقد كان له فضل كبير في توجيه ملكة السهيليّ النحوية وإبداعه في مجال الأدب ونبوغه في مجال الحديث عن إعجاز القرآن الكريم .

على أنَّ المتدبّر لكتب هذا الإمام لا بدَّ أن يُعجَبَ بإبداعه ونبوغه في كثيرٍ من مسائل اللغة والنحو والبلاغة ممّا لم يُعهد عند السابقين له[7] .

« كان السهيليّ واسعَ المعرفة غزير العلم ، نحوياً متقدّماً لغوياً عالماً بالتفسير وصناعة الحديث عارفاً بالرجال والأنساب ، عارفاً بعلم الكلام وأُصول الفقه حافظاً للتاريخ القديم والحديث ذكياً نبيهاً ، صاحب اختراعات واستنباطات مستغربة »[8] .

مؤلفاته[9] :

من أَبرز مؤلفات السهيليّ هي :

1. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية .
2. شرح الجمل .
3. التعريف والإعلام بما في القرآن من الأسماء والأعلام .
4. مسألة السر في عور الدجال .
5. مسألة رؤية الله والنبي في المنام .
6. نتائج الفكر في النحو وهو الكتاب الذي نحن بصدده .
7. الأمالي .

وفاته :

توفى الإمام السُّهيليُّ ليلة الخميس خامس عشري شوال سنة إحدى وثمانين وخمسمائة[10] .

ثالثاً : استدراكات ابن قيّم الجوزية :

أخذ ابن قيّم الجوزية في استدراكه ألواناً عبّر عنها بعبارات وألفاظ شغلت الحيّز الكبير من الشرح ، واستدراكاته لم تكن مقتصرةً على مسائل خاصة بل تعدّى إلى مختلف المسائل اللغوية ، ومن عبارات الاستدراك (فيه معنى هو أحسن من المعنيين اللذين ذكرهما السهيليّ ...) و (وعندي فيه جواب أحسن من هذا ...) و (وعندي فيه علة ثانية ...) و (وفيه فرق أحسن من هذا ...) وغيرها ، وفيما يأتي عرض مبسوط لأهم الاستدراكات التي تناولها .

أ- إعراب « الرحمن » من قوله تعالى :چأبپپپچ :

ذهبَ قومٌ إلى أنّه نعت ، وذهب آخرون إلى أنَّه بدل من الله ، واستبعدوا النعت فيه ؛ لأنَّه علم ، وإن كان مشتقاً من الرحمة ، ولكنّه ليس بمنزلة الرحيم ولا الراحم وغير ذلك ممّا يطرد القياس فيه ، ويكثر في النعوت مثله .[11]

«وأمّا « الرحمن » فإنَّه مختص بالعلمية ومصنوع لها ، كما أنَّ « الدبران »[12] وإن كان مشتقاً من « دبرت » ولكنّه صيغ للعلمية ، فجاء على بناء لا يكون في النعوت .

ويدلُك على أنَّه (علم) وروده في القرآن غير تابع لاسم قبله ، كما ورد غيره من الأسماء التي لا تجري مجرى الأعلام . فلمّا ثبت أنَّه علم امتنع أنْ يكون نعتاً ؛ لأنَّ العلم ينعت ولا ينعت به ، وإذا امتنع أنْ يكون نعتاً لم يبقَ إلا أن يكون بدلاً من الله . هذا منتهى قولهم ، واليه ذهب الأعلم[13]»[14].

«والبدل عندي (السهيليّ) فيه ممتنع ، وكذلك عطف البيان ؛ لأنَّ الاسم الأوّل لا يفتقر إلى تبيين ، لأنَّه أعرف الأسماء كلّها وأبينها ، ألا ترى أنهم قالوا :چکککچ[الفرقان : 60]؟ ولم يقولوا : وما الله ؟ولكنّه – وإن كان يجري مجرى الأعلام – فإنّه مشتق من الرحمة ، فهو وصف يراد به الثناء ، وكذلك الرحيم ، إلا أنَّ الرحمن من أبنية المبالغة كغضبان ونحوه ، وإنَّما دخله معنى المبالغة من حيث كان في آخره ألف ونون ، كالتثنية ، فإنَّ التثنية في الحقيقة تضعيف ، وكذلك هذه الصفة ، فكأنَّ غضبان وسكران كامل لضعفين من لغضب والسكر فكان اللفظ مضارعاً للفظ التثنية ؛ لأنَّ التثنية ضعفان في الحقيقة ، ألا ترى أنَّهم أيضاً قد شبهوا التثنية بهذا البناء ، إذا كانت لشيئين متلازمين فقالوا : الجلمان والقلمان ، فأعربوا النون كأنَّه اسم لشيء واحد ، فقالوا : اشترك باب فعلان وباب التثنية ، ومنه قول فاطمة – رضي الله عنها – في نداء ابنها : « يا حسنان، يا حسينان »[15] برفع النون، ولمضارعة التثنية امتنع جمعه ، فلا يقال في غضبان : " غضبانين " ، وامتنع تأنيثه بالهاء فلا يقال : " غضبانة " ، وامتنع تنوينه كما لا ينون نون المثنى ، فجرت عليه كثير من أحكام التثنية لمضارعته إيّاها لفظاً ومعنىً . وفائدة الجمع بين الصفتين – أعني « الرحمن والرحيم » – وإن كانتا جميعاً من الرحمة ، الإنباء عن رحمة عاجلة ، ورحمة آجلة ، أو عن رحمة عامة وأخرى خاصة حاصلتين لقارئ القرآن والله أعلم »[16] .

وقد سبق الزجاجُ[17] السهيليّ بقولهِ السابق . في حين ذكر النحاس أنَّه يجوز النصب في (الرحمن الرحيم) على المدح ، والرفع على إضمار مبتدأ ، ويجوز خفض الأوّل ورفع الثاني ، ورفع أحدِهِما ونصب الآخر[18] .

وأمّا ابن القيّم فنراه يوافق ما جاء به السهيليّ في بعض كلامهِ بقولهِ : « قلت : أسماء الربّ تعالى هي أسماء ونعوت ، فإنَّها دالة على صفات كماله ، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية ، فالرحمن اسمه تعالى ، ووصفه ، لا تنافي اسميته وصفيته ، فمن حيث هو صفة جرى تابعاً على اسم الله ، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع ، بل ورد الاسم العلم . ولما كان هذا الاسم مختصاً به تعالى ، حسن مجيئه مفرداً غير تابع ، كمجيء اسم الله كذلك ، وهذا لا ينافي دلالته على صفة الرحمن كاسم الله ، فإنَّه دالٌ على صفة الإلوهية ، ولم يجيء قط تابعاً لغيره ، بل متبوعاً ، وهذا بخلاف العليم القدير والسميع والبصير ونحوها ، ولهذا لا تجئ هذه مفردة ، بل تابعة ، فتأمل هذه النكتة البديعة ، يظهر لك بها أنَّ الرحمن اسم وصفة ، لا ينافي أحدهما الأخر ، وجاء استعمال القرآن بالأمرين جميعاً »[19] .

ونرى لابن القيّم استدراكاً على كلام السهيليّ بقولهِ : « وأمّا الجمع بين الرحمن الرحيم ففيه معنىً ، هو أحسن من المعنيين اللذين ذكرهما (السهيليّ) ، وهو أنَّ الرحمن دالٌ على الصفة القائمة به سبحانه ، والرحيم دالٌ على تعلقهما بالمرحوم ، فكأنَّ الأوّل للوصف ، والثاني للفعل ، فالأوّل دالٌ على أنَّ الرحمة صفته ، والثاني دالٌ على أنَّه يرحم خلقه برحمته ، وإذا أردتَ فهم هذا ، فتأمل قوله :چچچيچ[الأحزاب : 33]وچ□□□□□□چ[التوبة : 117] . ولم يجئ قط (رحمن بهم) فعَلِمَ أنَّ رحمن هو الموصوف بالرحمة ، ورحيم هو

الراحم برحمته »[20] . بيدَ أنَّ الدكتور فاضل صالح السامرائي أورد رأياً ذاكراً فيه أنَّ صيغة (فعلان) تدلُّ على الصفات المتجددة ، وذلك نحو : عطشان وجوعان وغضبان ونحوها ، فإنَّ العطش في : عطشان ، ليس صفة ثابتة بل يزول ويتحول وكذلك جوعان ... ، بخلاف : (فعيل) فإنَّه يدلُّ على الثبوت وذلك نحو : كريم وبخيل وطويل فإنَّ هذه صفات ثابتة فليس (طويل) مثل : (عطشان) في الوصف فجمع الله سبحانه لذاته الوصفين . إذ لو اقتصر على (رحمن) ؛ لظنَّ ظانٌّ أنَّ هذه صفة طارئة قد تزول كعطشان وريان . ولو اقتصر على (رحيم) ؛ لظنَّ أنَّ هذه صفة ثابتة ولكن ليس معناها استمرار الرحمة وتجددها ، إذ قد تمر على الكريم أوقات لا يكرم فيها وقد تمر على الرحيم أوقات كذلك . والله تعالى متصف بأوصاف الكمال فجمع بينهما حتّى يعلم العبد أنَّ صفته الثابتة هي الرحمة ، وأنَّ رحمته مستمرة متجددة لا تنقطع ، حتى لا يستبد به الوهم بأنَّ رحمته تعرض ثم تنقطع أو قد يأتي وقت لا يرحم فيه سبحانه فجمع الله كمال الاتصاف بالرحمة لنفسه[21] .

يُفهم من هذا أنَّ « الرحمن » اسمٌ وصفةٌ ، ويأتي مفرداً بعكس الصفات الأخرى التي يتصف بها ربُّ العزةِ فإنَّها تأتي تابعةً وغير مفردةٍ ، وبناؤه يدلُّ على التجدد والحدوث ، أمّا « الرحيم » فبناؤه يدلُّ على الثبوت . والله أعلم .

ب- حـذف التاء وتـركها في قولـه تعـالى : چگگں چو چۆۆۇۇۆچفي سورة هود :

قال السهيليُّ : « فإن قيل : فإذا استوى ذكر (التاء) وتركها في الفعل المفعول عن الفاعل المؤنث ، فما الحكمة لاختصاصها في الفعل في قصة شعيب ،وحذفها في قصة صالح فيقوله:چگگں چ[هود : 67] ؟ . فالجواب : إنَّ الصّيْحة في قصة صالح في معنى العذاب والخزي ، إذ كانت منتظمة بقولهِ سبحانه وتعالى : چگ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ چ[هود : 66]، فصارت الصّيْحة عبارة عن ذلك الخزي وعن العذاب المذكور في الآية ، فقوي التذكير ، بخلاف الآية الأخرى »[22] .

وأورد النحاس في كتابه أنَّه ذكّر الفعل ؛ لأنَّ الصّيْحة والصياح واحد[23] . يُفهم من هذا القول إنَّه أراد بالصّيْحة المصدر ، أي : بمعنى الصياح .

وذكر الباقولي أنَّه جاء بالتاء في قصة شعيب وتركها في قصة صالح ؛ لأنَّ الفصلَ إذا حصل فإنَّ ترك العلامة يزداد حسناً . ولكنَّ الوجهين إنَّما جاء في التنزيل طلباً للمشاكلة والمطابقة . فقد جاء هاهنا (وأخذت) ؛ لأنَّ بعدها چ□□□□چ[هود : 95][24] .

وأرى أنَّ ما ذهب إليه الباقولي غير دقيق ؛ لأنَّ الفصلَ بين الفعل والفاعل واحد ، والفاعل نفسه لم يتغير ، إذاً فالفاصل موجود في كلتا الآيتين فلِمَ لم يترك العلامة في قصة شعيب ليزداد حسناً .

أمّا موقف ابن القيّم من قول السهيليّ فقد ذهب فيه مذهب المستدرك ، إذ قال : « وعندي فيه جواب أحسن من هذا إن شاء الله ، وهو أنَّ الصّيْحة يراد بها المصدر بمعنى الصياح ، فيحسن فيها التذكير ويراد بها الواحدة من المصدر فيكون التأنيث أحسن . وقد أخبر تعالى عن العذاب الذي أصاب به قوم شعيب بثلاثة أمور كلها مؤنثة اللفظ ، أحدها : الرجفة في قولهِ في الأعراف : چں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ چ[الأعراف : 78]. الثاني : الظلة بقولهِ : چ ې ې ې ې چ[الشعراء : 189] . الثالث : الصّيْحة : چۆۆۇۇۆچ[هود : 94]، وجمع لهم بين الثلاثة ، فإنَّ الرجفة بدأت بهم فأصحروا إلى الفضاء خوفاً من سقوط الأبنية عليهم ، فصهرتهم الشمس بحرها ، ورفعت لهم الظلة ، فأهرعوا إليها يستظلون بها من الشمس ، فنزل عليهم منها العذاب ، وفيه الصّيْحة ، فكان ذكر الصّيحة مع الرجفة ، والظلة أحسن من ذكر الصياح ، وكان ذكر التاء ، والله أعلم »[25] .

وابن القيّم مسبوق بهذا ، فقد سبقه الخطيب الأسكافي[26]، والكرماني[27] .

وهذا الكلام فيه نظر :[28]

والصواب : إنَّ مدين ذكر عنهم سبحانه أنَّهم أخذتهم الصيحة ، وأنَّهم أخذتهم الرجفة ، وأمّا عذاب يوم الظلة ، فإنَّه لم يُصب مدين ، وإنَّما أصاب أصحاب الأيكة ، قال تعالى فيهم : ﭽﭼﭽﭾﭿﭽ[الشعراء : 189]وكلاهما أرسل إليهما شعيب هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى أنَّ (الرجفة) أخذت قوم صالح أيضاً ، قال تعالى فيهم :ﭽﭟﭠﭽ[الأعراف : 78] فهذا التعليل فيه نظر .

وإنَّه عبّر عن عذاب قوم صالح بالخزي فقال : ﭽﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭽ[هود :66] .

والخزي مذكر فناسب التذكير في قوم صالح .

وأمّا اختيار التذكير والتأنيث في كلّ موضع فله أكثر من سبب منها :

1. إنَّ التعقيب على قوم صالح وعقابهم أشدّ ممّا ذكره في قوم شعيب فقد قال في قوم صالح :

ﭽﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﴾ﭽ[هود : 66- 68].

وقال في قوم شعيب : ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﴾ﭽ[هود : 94-95]. ومن النظر في النصين يتبين لنا ما يأتي :

أ- إنَّه قال في قوم صالح : ﴿ﭲﭳ﴾ . وقال في مدين : ﴿ﮞﮟ﴾ ، والفاء تفيد التعقيب ذلك أنَّه قال على لسان نبيها صالح : ﭽﭼﭽﭾﭿﭽ[هود : 64] .

فناسب التوعد بالعذاب القريب ذكر الفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب ، ثُمَّ إنَّ نبيهم توعدهم بعد عقر الناقة بالعذاب بعد ثلاثة أيام ، فلمّا انقضت الأيام الثلاثة حلَّ بهم العذاب ، فناسب ذلك أيضاً ذكر الفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب ، وليس الأمر كذلك في مدين فناسب ذكر الواو .

ب- وذكر قوة الله سبحانه وعزته تعقيباً على هلاك قوم صالح فقال : ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﭽ ، ولم يذكر مثل ذلك في قوم شعيب .

ج- وقال في قوم صالح : ﭽﮬﮭﮮﭽ ، ولم يقلْ مثل ذلك في قوم شعيب .

فاتضح أنَّ التعقيب على قوم صالح كان أشدّ فجاء في عقوبتهم بلفظ التذكير فقال : ﭽﮓﮔﮕﭽ ؛ لأنَّ المذكر أقوى من المؤنث وهو الأصل كذلك .

2. وعلاوة على كل ذلك فإنَّ قصة قوم شعيب في هذه السورة أطول من قصة قوم صالح ، فإنَّ قصة قوم صالح ثماني آيات من الآية الحادية والستين إلى الآية الثامنة والستين . وإنَّ قصة مدين اثنتا عشرة آية من الآية الرابعة والثمانين إلى الآية الخامسة والتسعين ، وإنَّ كلمة (أخذت) أطول من (أخذ) فناسب الكلمة الطويلة طول القصة من جهة أخرى .

3. وردت كلمة (العذاب) في قوم صالح في القرآن الكريم أكثر ممّا وردت في مدين ، فإنّها وردت في قوم صالح سبع مرات وهي :

قوله تعالى : ﭽﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭽ[الأعراف : 73]

وقوله : ﭽﭼﭽﭾﭿﭽ[هود : 64]

وقوله : ﭽﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭽ[الشعراء : 156]

وقوله : ﭽﭵﭶﭷﭸﭹﭽ[الشعراء : 158]

وقوله : ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﭽ[فصلت : 17]

وقوله : ﭽﮇﮈﮉﮊﮋﭽ[القمر : 30]

وقوله : ﭽﭲﭳﭴﭵﭶﭽ[الفجر : 13]

ووردت في أهل مدين مرة واحدة ، وذلك قوله تعالى : چﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﴾ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﴾[هود : 93] .وإنَّ من معاني(الصّيْحة) في اللغة(العذاب)[29] ، فذكّر الصيحة في قوم صالح إشارةً إلى معنى العذاب ، ومناسبةً لذكره الذي تكرر فيهم ، ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة إلى قوم شعيب أهل مدين فجاء بالفعل على لفظ الصيحة وهو التأنيث .

جـ- بناء « الذينَ » :

عرض السهيليّ هذه المسألة بقولهِ : « فإن قيل : فما بالهم بنوا الجمع – أعني الذين – وهو على حدّ تثنية ، وفيه علامة الإعراب ؟ قلنا : الجمع يفارق التثنية من وجهين ، أحدهما : إنَّ الجمع قد يكون إعرابه كإعراب الواحد بالحركات ، نعم ، وقد يكون الجمع اسماً واحداً في اللفظ كقولكَ : قوم ورهط . الثاني : إنَّ الجمع في حال نصبه وخفضه يضارع لفظه لفظ الواحد ، من حيث كان آخره ياء مكسوراً ما قبلها ، فحملوا الرفع الذي هو أقل حالاته على النصب والخفض ، وغلبوا عليهِ البناء ، حيث كان لفظه في الإعراب في أغلب أحواله كلفظه في البناء .

وليس كذلك التثنية ؛ لأنَّ ياءها مفتوح ما قبلها ، فلا يضارع لفظها في شيءٍ من أحوالها لفظ الواحد .

وأمّا النون في (الذين) فلا معتبر بها ، لأنَّها ليست في الجمع ركناً من أركان صيغته ، لسقوطها في الإضافة وفي ضرورة الشعر ، كما قال: [من الطويل]

وَإِنَّ الذي حانَتْ بِفَلْجٍ دِماؤُهُمْ هُمُ القَوْمُ كُلُّ القَوْمِ يا أُمَّ خَالِدِ[30]»[31]

وأرى أنَّ ما ذهب إليه الإمام السهيليّ غير دقيق ؛ لأنَّ الجمع وإن كان اسماً واحداً في اللفظ كقولك : قوم ورهط إلا أنَّه يأتي معرباً بعكس (الذين) الذي يأتي مبنياً دائماً .

ممّا دفع ابن القيّم أنْ يستدركَ على السهيليّ بقولهِ : « وعندي فيه علة ثانية وهي : إنَّ التثنية في (الذين) خاصة من خواص الاسم قاومت شبه الحرف ، فتقابل المقتضيان ، فرجع إلى أصله فأعرب ، بخلاف (الذين) فإنَّ الجمع وإنْ كان من خواص الأسماء ، لكن هذه الخاصة ضعيفة في هذا الاسم لنقصان دلالته مجموعاً عمّا يدل عليه مفرداً ، فإنَّ (الذي) يصلح للعاقل وغيره ، و (الذين) لا يستعمل إلا للعقلاء خاصة ، فنقصت دلالته فضعفت خاصيّة الجمع فيه ، فبقي موجب بنائهِ على قوتهِ ، وهذا بخلاف المثنى ، فإنَّه يقال على العاقلين وغيرهما فإنَّك تقول : الرجلان اللذان لقيتهما والثوبان اللذان لبستهما ، ولا تقول : الثياب الذين لبستهم ، وعلى هذا التعليل فلا حاجة بنا إلى ركوب ما تعسفه رحمه الله من مضارعة الجمع للواحد وشبهه به ، وتكلف الجواب عن تلك الاشكالات ، والله أعلم »[32] . وسُبِقَ ابن القيّم بهذا التعليل ، فقد سبقه ابن مالك إذ زاد على هذا التعليل أنَّ العرب لم تجمع على ترك إعراب الذين ، بل إعرابه في لغة هذيل مشهور فيقولون : نصرتُ الذين آمنوا على الذين كفروا ، وعلى كلٍّ حال ففي « الذي والذين » شبه بالشجي والشَّجين في اللفظ وبعض المعنى فلذلك لم تجمع العرب على ترك إعراب « الذين »[33] . ووافق المراديّ ابن القيّم وابن مالك بهذا التعليل[34] .

وعندي أنَّ ما ذهب إليه ابن القيّم ومن سبقه ووافقه هو الأصوب . والله أعلم .

د- قوله تعالى : چ□□□□□□چ:

قال السهيليُّ في كتابهِ : « فأمَّا قوله سبحانه : چ□□□□□□چ[الحديد : 3] ، فلأنَّها ألفاظ متضادة المعاني في أصل موضوعها ، فكان دخول (الواو) صرفاً لوهم المخاطب – قبل التفكّر والنظر – وعن توهم المحال ، واجتماع الأضداد من المحال ؛ لأنَّ الشيء لا يكون ظاهراً باطناً من وجه واحد ، وإنَّما يكون ذلك من وجهين مختلفين ، فكان العطف هاهنا أحسن من تركه ، لهذه الحكمة الظاهرة »[35] بيدَ أنَّ الزمخشري أورد سؤالاً ما نصّه : « فإن قلت : فما معنى الواو ؟ قلت : الواو الأولى معناها الدلالة على أنَّه الجامع

بين الصفتين الأوّلية والآخرية ، والثالثة على أنَّه الجامع بين الظهور والخفاء . وأمَّا الوسطى ، فعلى أنَّه الجامع بين مجموع الصفتين الأوّليين ومجموع الصفتين الأخريين ، فهو المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية ، وهو في جميعها ظاهر وباطن : جامع للظهور بالأدلة والخفاء ، فلا يدرك بالحواس »[36] .

أمَّا ابن القيّم فقد ذهب مذهباً أحسن من مذهب السهيليّ بقولهِ : « وأحسن منه أن يقال : لما كانت هذه الألفاظ دالة على معاني متباينة ، وأنَّ الكمال في الاتصاف بها على تباينها أتى بحرف العطف الدال على التغاير بين المعطوفات ؛ إيذاناً بأنَّ هذه المعاني مع تباينها فهي ثابتة للموصوف بها ، ووجه آخر وهو أحسن منها وهو أنَّ الواو تقتضي تحقيق الوصف المتقدم ، وتقريره يكون في الكلام متضمناً لنوع من التأكيد من مزيد التقرير ، وبيان ذلك بمثال نذكره مرقاة إلى فهم ما نحن فيه : إذا كان لرجل مثلاً أربع صفات ، هو عالم وجواد وشجاع وغني ، وكان المخاطب لا يعلم ذلك أو لا يقرُّ به ويعجب من اجتماع هذه الصفات في رجل ، فإذا قلت : زيدٌ عالمٌ وكان ذهنه استبعد ذلك ، فتقول : وجواد ، أي : وهو مع ذلك جواد ، فإذا قدرت استبعاده لذلك قلت : وشجاع ، أي : وهو مع ذلك شجاع وغني ، فيكون في العطف مزيد تقرير وتوكيد لا يحصل بدونه تدرأ به توهّم الإنكار »[37] .

فالواو هنا أفادت قطع هذا التوهّم الحاصل ، وأثبتت أنَّ الموصوف بالأوّلية هو الموصف بالآخرية ، وأنَّ الموصوف بالظاهر هو أيضاً موصوف بالباطن ، فكأنَّه قيل : هو الأوّل وهو الآخر وهو الظاهر وهو الباطن لا سواه[38] .

وبعد الذي أَوردناه يمكن أَن يقال : الحقّ هو ما ذهب إليه العلماء من أنَّ (الواو) تفيد هنا قطع الوهم وصرفه عن المخاطب ، وتقتضي تقرير الوصف في الكلام متضمناً لنوع من التأكيد والتقرير ، وأفادت أيضاً الجمع بين الصفات الثابتة لله تعالى ، فالمعروف أنَّ للواو معانيَ كثيرة ، ومن معانيها مطلق الجمع ، فجمعتْ بينهن على أحسنِ جمعٍ . والله أعلم بالصواب .

هـ– الفاء العاطفة :

قال السهيليُّ : « وأمَّا (الفاء) فهي موضوعة للتعقيب ، وقد تكون للتسبيب والترتيب ، وهما راجعان إلى معنى التعقيب ؛ لأنَّ الثاني بعدهما أبداً إنَّما يجيء في عقب الأوّل ، والتسبيب نحو : (ضربتُه فبكى) ، والترتيب مثل قوله سبحانه وتعالى : ﭽﭼﭽﭾ[الأعراف : 4]، دخلت الفاء لترتيب اللفظ ؛ لأنَّ الهلاك يجب تقديمه في الذكر ؛ لأنَّ الاهتمام به أولى ، وإن كان مجيء البأس قبله في الوجود . ومثله : [من الخفيف]

إنَّ مَنْ سادَ ثُمَّ سادَ أبوهُثُمَّقد سادَ بَعْدَ ذَلِكَ جَدُّهْ[39]

دخلت (ثُمَّ) لترتيب الكلام ، لا لترتيب المعنى في الوجود »[40] .

في حين ذهب الزمخشري إلى أنَّ (الفاء وثُمَّ) ، للجمع ، لكن مع الترتيب ، نحو : جاءني زيدٌ فعمروٌ ، أو : ثُمَّ عمروٌ ، أي : اجتمعا في المجيء وكان مجيء عمرو بعد مجيء زيدٍ ، والفرق بينهما أنَّ في (ثُمَّ) تراخياً دون (الفاء)[41] .

ويرى ابن مالك أنَّ معنى الفاء قد يكون السببية مع مُهلة ، كقولهِ تعالى : ﭽﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﭼ[الحج : 63]. وقد تقع (الفاء) موقع (ثُمَّ) ، كقـــولهِ تعالى : ﭽﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﭼ[المؤمنون : 12-14] ، فالفاء من : فخلقنا ، ومن : فكسونا ، واقعة موقع (ثُمَّ) لما في معناه من المهلة ، ولذلك جاءتْ (ثُمَّ) بدلها في أوّل سورة الحج[42] . ونقل المراديّ كلام الفرّاء بقولهِ : « وذهب الفرّاء[43] إلى أنَّ ما بعد الفاء قد يكون سابقاً ، إذا كان في الكلام ما يدلُّ على ذلك . كقولهِ تعالى: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﭼ[الأعراف : 4] ، والبأس في الوجود واقع قبل الإهلاك »[44] . وهذا الكلام غير دقيق ؛ لأنَّ ابن القيّم – رحمه الله – فصّل القول في هذه الآية ، وذكر أحسن الوجوه في تقديرها كماسيأتي .

وقال المراديّ أيضاً : « وذهب بعضهم إلى أنَّ (الفاء) قد تأتي لمطلق الجمع ، كالواو . وقال به الجرميّ[45] في الأماكن والمطر خاصة . كقولهم : عفا مكانُ كذا فمكان كذا ، وإنْ كان عفاؤهما في وقت واحد . ونزل المطر بمكان كذا فمكان كذا ، وإن كان نزوله في وقت واحد »[46] .

أمَّا ابن القيّم فقد عقّب على الآية التي ذكرها السهيليّ مستدركاً عليه بقولهِ : « وعندي في الآية تقديران آخران أحسن من هذا ، أحدهما : أنْ يكون المراد بالإهلاك إرادة الهلاك ، وعبّر بالفعل عن الإرادة وهو كثير ، فترتّب مجيء البأس على الإرادة ترتيب المراد على الإرادة ، والثاني : وهو ألطف أنْ يكون الترتيب ترتيب تفصيل على جملةٍ ، فذكر الإهلاك . ثُمَّ فصله بنوعين ، أحدهما : مجيء البأس بياتاً ، أي : ليلاً ، والثاني : مجيئه وقت القائلةِ ، وخصَّ هذين الوقتين ؛ لأنَّهما وقت راحتهم وطمأنينتهم ، فجاءهم بأس الله أسكن ما كانوا وأروحه في طمأنينتهم وسكونهم ، على عادته سبحانه في أخذ الظالم في وقت بلوغ آماله وكرمه وفرحه وركونه إلى ما هو فيه »[47] ، والله أعلم بالصواب .

و- « كلتُ لزيدٍ ووزنتُ له » :

عند كلام السهيليّ على (كلتُ لزيدٍ ووزنتُ له) ، قال : « وأمَّا (كلتُ لزيدٍ ، ووزنتُ له) فمفعولها غير (زيد) ؛ لأنَّ مطلوبهما ما يكال أو يوزن فالأصل دخول اللام ، ثُمَّ قد يحذف لزيادة فائدة ؛ لأنَّ كيل الطعام ووزنه يتضمن معنى المبايعة والمعارضة إلا مع حرف اللام ، فإنْ قلت : (كلتُ لزيدٍ) ، أخبرت بكيل الطعام خاصة ، وإذا قلت : (كلتُ زيداً) فقد أخبرت بمعاملة ومبايعة مع الكيل ، كأنَّك قلت : بايعتُ زيداً بالكيل والوزن ، قال الله – سبحانه وتعالى – : ﭽﯮﯯﯰﯱﯲﯳﭼ المطففين : 3]،أي : بايعوهم كيلاً ووزناً . وأمَّا قوله : ﭽﯵﯶﯷﭼ المطففين : 2] ، فإنَّما دخلت (على) ؛ لتؤذن أنَّ الكيل على البائع للمشتري ، ودخلتْ التاء في (اكتالوا) ؛ لأنَّ افتعل في هذا الباب كلّه للأخذ ؛ لأنَّها زيادة على الحروف الأصلية تؤذن بمعنى زاد على معنى الكلمة ؛ لأنَّ الآخذ للشيء كالمبتاع والمكتال والمشتري ونحو ذلك يدخل فعله من التناول والاحتراز إلى نفسه والاحتمال إلى رحله ما لا يدخل فعل المعطي والبائع ، ولهذا قال سبحانه : ﭽﯖﯗﭼ البقرة : 286] يعني من الحسنات ، ﭽﯘﯙﭼ البقرة : 286] ، يعني من السيئات ؛ لأنَّ الذنوب يوصل إليها بوساطة الشهوة والشيطان ، والحسنة تنال بهبة من الله تعالى من غير وساطة شهوة ولا إغواء عدو ، فهذا الفرق بينهما »[48] .

وافقه أبو حيان ، وزاد عليهِ بقولهِ : « والصحيح عند أهل اللغة أنَّ الكسب والاكتساب واحد ، والقرآن ناطق بذلك قال الله تعالى : ﭽ□□□□□□□ﭼ المدثر : 38] ، وقال : ﭽ□□□□□□□□□ﭼ الأنعام : 164]، وقال : ﭽﮓﮔﮕﮖﮗﮘﭼ البقرة : 81]، وقال : ﭽﮔﮕﮖﭼالأحزاب : 58]ومنهم مَنْ فرّق فقال : الاكتساب أخصُّ من الكسب ؛ لأنَّ الكسب ينقسم إلى كسب لنفسهِ ولغيرهِ ، والاكتساب لا يكون إلا لنفسهِ ، ويقال : كاسب أهله ولا يقال مكتسب أهله ، قال الشاعر[49] : [من البسيط]

غَيَّبْتَ كَاسِبَهُمْ في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ

هذا ما قاله أبو حيان »[50] . ثُمَّ أوردَ سؤالاً يقول فيه : « فإنْ قلت : لِمَ خصَّ الخير بالكسب والشر بالاكتساب ؟ قلت : في الاكتساب اعتمال ، فلمّا كان الشر ممّا تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه ، وأمّارة به كانت في تحصيله أعمل وأجدّ ، فجعلت لذلك مكتسبة فيه ، ولما لم تكنْ كذلك في باب الخير ، وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال »[51] . وهذا القول سابق لكلام ابن القيّم الذي وافقه فيه ، وأدرك به على السهيليّ كما سنذكر .

وذهب ابن القيّم مستدركاً على السهيليّ بقولهِ : « وفيه فرق أحسن من هذا ، وهو أنَّ الاكتساب يستدعي التعمل والمحاولة والمعاناة ، فلم يجعلْ على العبد إلا ما كان من هذا القبيل الحاصل بسعيه ومعاناته وتعمله . وأمّا الكسب فيحصل بأدنى ملابسة حتى بالهمِّ بالحسنة ونحو

ذلك ، فخصَّ الشرّ بالاكتساب والخير بأعم منه ، ففي هذا مطابقة للحديث الصحيح : (إذا همَّ عبدي بحسنة فاكتبوها وإنْ همَّ بسيئة فلا تكتبوها)[52] ،وأمّا حديث الواسطة وعدمها فضعيف ؛ لأَنَّ الخير أيضاً بوساطة الرسول والمَلَكِ والإلهام والتوفيق ، فهذا في مقابلة وسائط الشر ، فالفرق ما ذكرناه ، والله أعلم »[53] . ووافقه بهذا القول القاسمي في كتابه محاسن التأويل[54] . وعندي أنَّ ما ذهب إليه جهابذة العلم من أنَّ الكسب يختص به الخير ، والاكتساب هو ما يختص به الشر وما شابهه هو الأرجح ، والله أعلم .

خاتمة البحث :

تتضمن هذه الخاتمة عرض ما توصلنا إليه من نتائج يمكن ترتيبها على النحو الآتي :

1. أخذ ابن قيّم الجوزية في استدراكه ألواناً عَبَّرَ عنها بعبارات وألفاظ شغلت الحيّز الكبير من الشرح ، واستدراكاته لم تكن مقتصرةً على مسائل خاصة بل تعدّى ذلك إلى مختلف المسائل اللغوية والصرفية والنحوية التي استدرك فيها على السهيليّ الذي سبقه ، بل تعدّتها إلى تناول قصور عبارة السهيليّ وضعفها ، وما فيها من غموض وتعقيد ، لذلك لجأ ابن القيّم إلى استكمال ما جاء به السهيليّ ، وسدّ ثغراته مستدركاً على ما فات السهيليّ أو غفل عنه من آراءٍ وأقوالٍ ومعانٍ كانت غافلة عنه .
2. لم يكنْ ابنُ القيِّم مجردَ ناقلٍ لآراء غيره ، بل كانت له شخصية علمية واضحة بحتة ، واتضح ذلك من خلال الاستدراكات التي أوردها ، إذ استعمل عبارات منها : وعندي فيه جواب أحسن ، ويحتمل عندي تقديرين آخرين ، وفيه فرق أحسن من هذا .
3. لقد وظّف ابن القيّم ما استدركه على السهيليِّ بدقة متناهية حتى أنَّك لا تميز بين قول السهيليِّ وقول ابن القيّم إلا بالرجوع إلى النصوص المحتكمة بينهما فكان على دراية ممّا يقوله مستنداً بذلك على ما أورده من شواهد قرآنية ، وأحاديث نبوية ، وشعر عربي فصيح .

وبعدُ فلستُ بزاعمٍ أنَّني أَدَّيتُ للبحث كلّ ما له من حقٍّ عليَّ ، ولكنَّني أزعمُ أنَّني بذلتُ فيه جهدي ما وسعني ذلك ، وقدّمتُ إشاراتٍ بارزةً توجّه الدارسين نحو كتابين جليلين من كتب العربية ، فيهما من فنون العلم ما نفتقده في كثيرٍ من كتب النحو والصرف خاصة .

والمأمول من المتحلين بحلي الإنصاف ، والمتخلين عن البغي والاعتساف إذا عثروا على شيء زلتْ فيه القدمُ أو طغى به القلم أنْ يستحضروا أنَّ لكلِّ جوادٍ كبوة ، ولكلِّ صارمٍ نبوة .

الهوامش

(1) ينظر : الصحاح ، مادة (درك) : 1582/4 .

(2) لسان العرب ، مادة (درك) : 1364/16 .

(3) الكليات : 94 .

(4) ينظر في ترجمته : ذيل طبقات الحنابلة : 447/2- 450 ، وشذرات الذهب : 168/6 – 171 ، والوافي بالوفيات : 271/2 ، وبغية الوعاة : 56/1 ، وعلل التعبير القرآني في بدائع التفسير (رسالة ماجستير) : 4- 12 .

(5) ينظر في ترجمته : المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية : 230 ، وبغية الوعاة : 115/2 .

(6) ابن الطراوة : يحيى بن محمد ، ينظر : بغية الوعاة : 337/2 .

(7) كتب السهيليّ : الروض الأنف في شرح السيرة ، وشرح الجمل لم يتم ، والتعريف والأعلام بما في القرآن من الأسماء والأعلام ، ومسألة السر في عور الدجال ، ومسألة رؤية الله والنبي في المنام ، ونتائج الفكر ، والأمالي . ينظر : بغية الوعاة : 115/2 ، وأبو القاسم السهيليّ ومذهبه النحوي : 157 وما بعدها .

(8) المطرب : 231 ، وينظر : بغية الوعاة : 115/2 .

(9) ينظر : بغية الوعاة : 2/ 115 .

(10) ينظر : بغية الوعاة : 115/2 .

(11) ينظر : نتائج الفكر : 41 .

(12) الدبران : نجمٌ بين الثريا والجوزاء ، ويقال له التابعُ والتويعُ ، وهو من منازل القمر ، سمّي دبراناً ؛ لأنَّه يدبرُ الثريا . ينظر : لسان العرب ، مادة (دبر) : 1320/15 ، والدبران في علم الفلك : خمسة كواكب من الثور يقال : إنَّها سنامه وهو من منازل القمر وقيل : نجم بين الثريا والجوزاء . ينظر : المعجم الوسيط : 561/1 .

(13) يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي أبو الحجاج المعروف بالأعلم (ت 476هـ) . ينظر : الأعلام : 233/8 . ينظر : البحر المحيط : 128/1 .

(14) نتائج الفكر : 42 .

(15)ينظر : الفائق في غريب الحديث : 2/ 378 .

(16) نتائج الفكر : 42 – 43 ، وينظر : البحر المحيط : 128/1 .

(17)ينظر : معاني القرآن إعرابه : 43/1 – 44 .

(18) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : 12.

(19) بدائع الفوائد : 37 .

(20) بدائع الفوائد : 37 – 38 .

(21) ينظر : التعبير القرآني : 39 – 40 .

(22) نتائج الفكر 131 – 132 ، وينظر : معاني النحو : 59/2 .

(23) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : 423 ، ودرّة التنزيل وغرّة التأويل : 224 .

(24) ينظر : كشف المشكلات وإيضاح المعضلات : 59/1 .

(25) بدائع الفوائد : 113 ، وينظر : تفسير حدائق الروح والريحان : 142/13، ومعاني النحو : 59/2 .

(26) ينظر : درّة التنزيل وغرّة التأويل : 224 – 225 .

(27) ينظر : البرهان في توجيه متشابه القرآن : 146 .

(28) ينظر : أسئلة بيانية : 93 – 96 .

(29) ينظر : لسان العرب ، مادة (صيح) : 2532/28 .

(30) البيت للأشهب بن رميلة وقيل : غير ذلك . ينظر البيت في : الكتاب : 187/1 ، والمقتضب : 146/4 ، وشرح المفصل : 155/3 ، ومغني اللبيب : 218/1 ، 633/2 ، وشرح التصريح على التوضيح : 149/1 . والشاهد في البيت حذف النون من « الذين » استخفافاً ؛ لطول الاسم بالصلة . ويروى : « وإنَّ اللأى » فلا شاهد فيه . وقيل : إنَّ « الذي » مفرد عبر به عن الجمع ، فعاد الضمير إليه محمولاً على المعنى ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾(الزمر:33) . ينظر : هامش كتاب سيبويه : 187/1 ، وشرح المفصل : 156/3 .

(31) نتائج الفكر : 138 – 139 .

(32) بدائع الفوائد : 116 – 117 .

(33) ينظر : شرح التسهيل : 209/1 .

(34) ينظر : توضيح المقاصد والمسالك : 424/1 – 425 .

(35) نتائج الفكر : 187 .

(36) الكشاف : 42/6 – 43 ، وينظر : البحر المحيط : 216/8 – 217 ، والدر المصون : 235/10 – 236 ، وتفسير حدائق الروح والريحان : 437/28 ، وروح المعاني : 166/27 .

(37) بدائع الفوائد : 160 – 161 .

(38) ينظر : المصدر نفسه : 161 .

(39) البيت في مغني اللبيب : 136/1 ، وهو لأبي نواس برواية : «قُلْ لِمَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ قَبْلَهُ ثُمَّ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهْ، ينظر : ديوانه : 162/1.

(40) نتائج الفكر : 196 – 197 .

(41) ينظر : شرح الأنموذج : 182 ، وشرح المفصل : 94/8 – 95 .

(42) ينظر : شرح التسهيل : 242/3 ، ومغني اللبيب : 184/1 .

(43) ينظر : معاني القرآن للفرّاء : 280/1 .

(44) الجنى الداني : 62 ، وينظر : مغني اللبيب : 183/1 ، وشرح التصريح على التوضيح : 161/2 .

(45) الجرمي : هو أبو عمر ، صالح بن إسحاق ، توفى سنة (225هـ) . ينظر : بغية الوعاة : 55/2 .

(46) الجنى الداني : 63 ، ومغني اللبيب : 183/1 ، وشرح التصريح على التوضيح : 161/2 .

(47) بدائع الفوائد : 164 .

(48) نتائج الفكر : 272 .

(49) هو الحطيئة جردل بن أوس ، وعجزه : فاغْفِرْ عَلَيْكَ سلامُ الله يا عُمَرُ . ينظر : ديوانه : 192 .

(50) البحر المحيط : 381/2 – 382 ، وينظر : الدر المصون : 2/ 699 .

(51) المصدر نفسه : 382/2 ، وينظر : الدر المصون : 699/2 .

(52)ينظر : صحيح ابن حبّان : 104/2 ، (380) برواية : (إذا همَّ عبدي بحسنة فاكتبوها حسنة فإذا عملها فاكتبوها بعشر أمثالها وإذا همَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها بمثلها فإنْ تركها فاكتبوها حسنة) .

(53) بدائع الفوائد : 233 – 234 .

(54) ينظر : محاسن التأويل : 731/3 – 732 .

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم بروايةِ حفصٍ عن عاصم .

1. أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي ، د. محمد إبراهيم البنا ، دار البيان العربي ، ط1 ، 1405هـ – 1985م .
2. أسئلة بيانية في القرآن الكريم ، د. فاضل صالح السامرائي ، مكتبة الصحابة ، الإمارات – الشارقة ، ط1 ، 1429هـ – 2008م .
3. أسرار التكرار في القرآن المسمّى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، محمود بن حمزة الكرماني (ت 505هـ) ، دراسة وتحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، دار الفضيلة .
4. إعراب القرآن ، لأبي جعفر النّحاس (ت 338هـ) ، اعتنى به الشيخ خالد علي ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1427هـ – 2006م .
5. الأعلام ، خير الدين الزركلي (ت 1957هـ) ، دار العلم للملايين ، ط15 ، 2002م .
6. بدائع الفوائد ، لأبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية (ت 751هـ) ، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه : بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان ، ط2 ، 1425هـ – 2004م .
7. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) ، تح/ مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1425هـ – 2004م .
8. التعبير القرآني ، د. فاضل صالح السامرائي ، دار عمار ، ط4 ، 1427هـ – 2006م .
9. تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ) ، دراسة وتحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، شارك في تحقيقه : د. زكريا عبد المجيد النوني و د. أحمد النجولي الجمل ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1413هـ – 1993م .
10. تفسير القاسمي المسمّى محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ، علّق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، ط1 ، 1376هـ – 1957م .
11. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، محمد الأمين بن عبد الله الهرريّ الشافعيّ ، إشراف ومراجعة : د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي ، دار طوق النجاة ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1421هـ – 2001م .

12. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ، الحسن بن قاسم المرادي (ت 749هـ) ، شرح وتحقيق : الأستاذ الدكتور عبد الرحمن علي سليمان ، دار الفكر العربي ، ط1 ، 1422هـ - 2001م .

13. الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي(ت 749هـ) ، تح/ د. فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1413هـ - 1992م .

14. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت 756هـ) ، تح/ د. أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق .

15. درّة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ، للخطيب الاسكافي (ت 420هـ) ، برواية ابن أبي الفرج الأردستاني ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، ط2 ، 1977م .

16. ديوان أبي نواس (ت 200هـ) ، نقحه وصححه الأستاذ محمد علوة ، المركز الثقافي اللبناني ، (د. ت) .

17. ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت (ت 246هـ) ، تح/د. نعمان محمد أمين طه ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط1 ، 1407هـ - 1987م .

18. ذيل طبقات الحنابلة ، لابن رجب الحنبلي (ت 895 هـ) ، صححه : محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، 1372هـ - 1952م ،(د . ط) .

19. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي (ت 1270هـ) ، عنيت بنشره وتصحيحه إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .

20. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت 1089هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ،(د . ط) ، (د . ت) .

21. شرح الأنموذج في النحو ، للزمخشري (ت 538هـ) ، بشرح الأردبيلي جمال الدين محمد بن عبد الغني ، حققه وعلّق عليه : د. حسني عبد الجليل يوسف ، مكتبة الآداب 42 ميدان الأوبرا بالقاهرة .

22. شرح التسهيل تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ابن مالك الأندلسي (ت 672هـ) ، تح/ أحمد السيد سيد أحمد علي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة – مصر .

23. شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو ، خالد بن عبد الله الأزهري (ت 905هـ) ، تح/ محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1427هـ - 2006م .

24. شرح المفصل ، ابن يعيش النحوي (ت 643هـ) ، إدارة الطباعة المنيرية ،(د.ت) .

25. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حمّاد الجوهري(ت 398هـ) ، تح/ أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط4 ، 1990م .

26. صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبّان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت 354هـ) ، تح/ شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، 1414هـ - 1993م .

27. علل التعبير القرآني في بدائع التفسير ، ليث شاكر محمود ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، بإشراف الدكتور جاسم محمد سهيل ، 1430هـ - 2009م .

28. الفائق في غريب الحديث ، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ) ،تح/ علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة – لبنان ، ط2 ، (د. ت) .

29. كتاب سيبويه ، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، (الجزء الأول ، ط4 ، 1425هـ – 2004م) ، (والجزء الثاني ، ط3 ، 1427هـ – 2006م) ، (الجزء الثالث والرابع والخامس ، ط5 ، 1430هـ – 2009م) .

30. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ) ، تحقيق وتعليق ودراسة : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي ، مكتبة العبيكان ، ط1 ، 1418هـ – 1998م .

31. كشف المشكلات وإيضاح المعضلات ، لأبي الحسين علي بن الحسين الأصبهاني الباقولي (ت 543هـ) ، حققه وعلّق عليه ووضع فهارسه : د. محمد أحمد الدالي ، مطبعة الصباح ، 1415هـ – 1994م .

32. الكليات ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (ت 1094هـ) ، تح/ د. عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، ط2 ، 1432هـ– 2011م .

33. لسان العرب ، لابن منظور (ت 711هـ) ، تح/ نخبة من العاملين بدار المعارف هم الأساتذة عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف – القاهرة .

34. المطرب من أشعار أهل المغرب ، لابن دحية (ت633هـ) ، تح/ إبراهيم الابياري وآخرين ، طبعة الأميرية .

35. معاني القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت207هـ) ، حققه وخرّج أحاديثه الشيخ الدكتور عماد الدين بن سيد آل الدرويش ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1432هـ – 2011م .

36. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري(ت 311هـ) ، شرح وتحقيق : د. عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، ط1 ، 1408هـ – 1988م .

37. معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي ، شركة العاتك – القاهرة ، ط2 ، 1423هـ – 2003م .

38. المعجم الوسيط ، لإبراهيم مصطفى ،وأحمد الزيات ،وحامد عبد القادر ،ومحمد النجار ، تح/ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، (د. ط) ، (د. ت) .

39. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري(ت 761هـ) ، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، 1428هـ – 2007م .

40. المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ) ، تح/ محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، 1415هـ – 1994م .

41. نتائج الفكر في النحو ، لأبي القاسم عبد الرحمن عبد الله السهيلي (ت 581هـ) ، حققه وعلّق عليه : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1412هـ – 1992م .

42. الوافي بالوفيات :صلاح الدين خليل بن آيبك الصفدي(ت 764هـ) ، تح/ محمد بن إبراهيم بن عمر ، ومحمد بن الحسين بن محمد ، باعتناء : س . ديدرينغ ، دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن ، ط2 ، 1394هـ – 1974م .